

العناية بالمعالم والكتاب العربي

وسيلة لإنهاض اللغة العربية

فتح معاهد في الخارج وسائلة لنشرها

الأستاذ محمود أبو مرد

وزارة التربية (بغداد)

لذلك تجب العناية الدائمة بالكتاب المدرسي ، وقد اغفلت بعض الدول العربية هذه الحقيقة مع الاسف الشديد !!

(3) للبلاد العربية سفارات وقنصليات في شتى أنحاء العالم ، وللجامعة العربية مكاتب موزعة في بعض البلدان ، والمفروض في الدول العربية والجامعة أن تتبه إلى الناحية - السينكولوجية - التفسيرية والتي قيمة انتشار اللغة هي إادة التعبير والتفكير كوسيلة من وسائل الدعاية الناجحة. فلو تامت هذه السفارات بفتح (معاهد ثقافية) لتعليم اللغة العربية - وهذا ما نجده في السفارات الأجنبية في شتى عواصم الدول العربية - لاستطاعت أن تجلب عدداً كبيراً من المتقين الإجانب إلى دراسة اللغة العربية ، ففي (بغداد) مثلاً معاهد لتعليم اللغة الالمانية والفرنسية والإنجليزية والروسية وكلها تابعة لسفارات دولها .

ونحن لا ننفع في نشر اللغة العربية في الدول الكبيرة ، لأنها - في الوقت الحاضر لا تصلح لأن تكون مصدراً للعيش والرزق كقيمة اللغات الحية ، ولكننا ننفع في نشرها بين الطبقات المتنامية في العالم .

اما الدول الإسلامية غير العربية فلما علينا واجبات : أولها ديني ، وثانيها : حضاري .

اما الواجب الديني فان الدين الإسلامي يقترب باللغة العربية ولا يمكن التفت ومعرفة شعائره وأنظمته ما لم يدرس المسلم اللغة العربية . والدول الإسلامية غير العربية تتقد كثيراً إلى معرفة حثائق الدين الإسلامي عن طريق اللغة العربية ، وانا أعرف مثلاً : ان تفسير القرآن في (نيجيريا) يكون باللغة الإنجليزية، وهذا البلد الذي يزيد عدد المسلمين فيه على (عشرة)

1 - اعتد بعد تجربة طويلة - بأن مشكلة اللغة العربية هي مشكلة وجود المعلم اللائق والكتاب المناسب ، ومهمها قبل عن صعوبة اللغة وصعوبة درسها ، فإن تلك الاتصال تصدر اعتماداً بدون دراسة وفهم لواقع اللغة العربية وخصائصها .

اما المشاكل التي تحد من انتشارها بسرعة في العالم فهي اهمال الدول العربية ومعها الجامعة العربية نشر اللغة وتجاهلها الانصر النفسي - السينكولوجي - في المتعلمين وبخاصة في الدول الإسلامية غير العربية .

2 - ان انجح الحلول لهذه المشكلة يمكن ان تلخص فيما يلي :

1) ضرورة العناية بتعلم اللغة العربية في دور المعلمين وكليات المعلمين في الدول العربية ، ومن الواجب ان نعد معلم المدرسة الابتدائية اعداداً خاصاً لأن بعض الدول العربية لا تهتم بهذا ، ويعتقد المسؤولون فيها بأن معلم المدرسة الابتدائية يصلح لكل شيء متاجهelin أن الذي لا يندوق الأدب ولا يطلع على حضارة العرب الفكرية والعلمية والادبية لا يصلح لغرس الذوق الادبي في نفوس الناشئة ولا يربى جيلاً حضارياً يعتز بتراثه وبياضه وحاضره . وحيثما لو تبنت الجامعة العربية هذه الفكرة والزمت الدول العربية بإعداد معلم اللغة العربية اعداداً صحيحاً كما تفعل الدول الحية .

2) الكتاب المدرسي هو الوسيلة للوصول إلى الهدف ، فإذا كانت الوسيلة قديمة هزلية معتقدة ، ازدادت المشقة وطال الزمن وبعد الهدف وشنان بين عربية قديمة وطبيارة حديثة تسبق الصوت مع راحة وأمن وسلامة !!

وتشترك فيها بقية الدول العربية ، لأن الكتب الطيبة والعلمية الدقيقة التي تصلح للتدريس في هذا العصر لا يمكن ترجمتها وطبعها في المطباع العربية الموجودة ، ولو وجدت المطبعة الدقيقة لـ اساتذة لـ اساتذة والطلاب في استعمال اللغة الأجنبية !!

والجامعة العربية يجب ان تنتبه الى هذه المشكلة ، ولديها المال الكثير الذي يصرف في امور اخرى ، وبحذا لو اثربتم هذه الفكرة وكتنتم انتم الدافع اليها .

5 — ان مشكلة المصطلحات العلمية الاجنبية واستعمال الغريب (الاججمي) شغلت كل الباحثين اللغويين منذ نشوء التدوين — عند العرب — في اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث الهجري مثل : ابو عبيدة (المتوفى سنة 209 هـ) والاصمعي (المتوفى سنة 210 هـ) وأبو زيد الاتصاري (المتوفى سنة 215 هـ) وغيرهم من علماء اللغة .

واول غريب بحثوا فيه هو غريب القرآن الكريم، ففي القرآن كلمات غريبة من لغات عديدة :

- 1) السريانية : مثل : طه اليسم ، الطور ، الريانيون .
- 2) الرومية : مثل : الصراط ، القسطاس ، الفردوس .
- 3) الجبشية : مثل : المشكاة ، كثلين .
- 4) الحورانية : مثل : هيـت لـك

فذهب بعضهم الى انها من لغات الجرم ، وذهب البعض الآخر الى انها عربية بدليل قوله تعالى (انا انزلناه قرآنـا عربـيا) .

وهنـاك اصحـاجـهـيـنـ الذينـ يـعـولـ عـلـيـمـ وـهـوـ ابوـ عـبـيـدـ (ـالمـتـوفـىـ سـنـةـ 209ـ هـ)ـ يـقـولـ :ـ (ـوـالـصـوـابـ عـنـدـيـ مـذـهـبـ فـيـ تـصـدـيقـ الـقـوـلـيـنـ جـبـيـعاـ)ـ وـذـلـكـ انـ هـذـهـ الـحـرـوـفـ اـصـوـلـهـ اـعـجـمـيـةـ كـمـاـ يـقـولـ (ـقـتـهـاءـ ،ـ اـلـاـ انـهـاـ سـقـطـتـ اـلـىـ الـعـرـبـ فـأـعـرـيـتـهـاـ بـالـسـنـتـهـ وـحـولـهـاـ عنـ النـاظـرـ الـعـجـمـ الـىـ الـفـاظـهـاـ فـصـارـتـ عـرـبـيـةـ)ـ ثـمـ نـزـلـ الـقـرـآنـ وـقـدـ اـخـتـلـتـ هـذـهـ الـحـرـوـفـ بـكـلـ الـعـرـبـ ،ـ فـمـنـ قـالـ انـهـاـ عـرـبـيـةـ فـهـوـ صـادـقـ وـمـنـ قـالـ اـعـجـمـيـةـ فـهـوـ صـادـقـ)ـ .

ونـحنـ لـوـ رـجـعـنـاـ إـلـىـ آـرـاءـ الـعـلـمـاءـ الـذـيـنـ تـحدـثـواـ فـيـ الـغـرـبـ وـالـدـخـلـ لـذـهـبـنـاـ مـذـهـبـ شـتـىـ ،ـ وـلـكـ الـاجـهـادـ مـقـبـلـ فـيـ الـماـضـيـ وـالـحـاضـرـ .

ولـعـلـ خـيرـ مـنـ عـالـجـ هـذـاـ الـمـوـضـوـعـ هـوـ الـلـفـوـيـ

مـلـيـنـ لـاـ يـعـرـفـ مـنـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ شـيـئـاـ ،ـ وـمـثـلـ الـبـالـكـسـتـانـ وـتـرـكـيـاـ وـاـيـرانـ وـالـسـنـغـالـ وـالـصـومـالـ الخـ .ـ فـمـحـرـصـاـ عـلـىـ الدـيـنـ وـعـلـىـ عـدـمـ التـلاـعـبـ بـمـقـدـسـاتـهـ اـصـبـحـ مـنـ وـاجـبـ الـدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ وـالـجـامـعـةـ الـاهـتـمـامـ بـنـشـرـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ .

وـلـمـ الـواـجـبـ الـحـضـارـيـ نـانـ نـشـرـ الـدـيـنـ الـاسـلـامـيـ وـتـعـلـيمـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ يـطـلـعـ الـمـسـلـمـيـنـ غـيرـ الـعـربـ عـلـىـ حـضـارـةـ الـعـرـبـ وـالـمـسـلـمـيـنـ ،ـ وـبـذـلـكـ يـزـدـادـ شـوـقـ اـبـنـاءـ هـذـهـ الشـعـوبـ إـلـىـ الـلـفـةـ وـإـلـىـ الـدـيـنـ الـاسـلـامـيـ الـذـيـ جـمـعـ الـشـعـوبـ وـالـقـبـائـلـ وـصـبـهـاـ فـيـ قـالـبـ اـنسـانـيـ وـاحـدـ .

لـذـكـ نـانـ وـاجـبـ الـدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ وـالـجـامـعـةـ الـعـرـبـيـةـ الـاـكـثـارـ مـنـ فـتـحـ هـذـهـ (ـالـمـاـهـدـ الـتـانـيـةـ)ـ فـيـ الـدـوـلـ الـاسـلـامـيـةـ خـاصـةـ ،ـ شـرـيـطةـ أـنـ تـكـوـنـ اـهـدـافـهـاـ عـلـمـيـةـ بـحـثـاـ مـخـافـةـ اـبـتـدـاعـ الـنـاسـ عـنـهـاـ اـذـاـ مـاـ اـخـتـلـطـتـ بـالـسـيـاسـةـ وـخـرـجـتـ عـنـ اـغـرـاضـهـاـ !!

وـقـدـ قـمـتـ اـنـاـ وـزـمـيـلـيـ الـاـسـتـاذـ (ـسـلـيمـ حـكـيمـ)ـ بـتـنظـيمـ ثـلـاثـ كـرـاسـاتـ لـتـعـلـيمـ الـخـطـ الـعـرـبـيـ لـغـيرـ الـعـربـ وـاتـبـعـنـاـ فـيـ تـنـظـيمـهـاـ طـرـيـقـةـ (ـالـخـطـ الـهـنـدـسـيـ)ـ الـذـيـ اوـجـدـهـ (ـاخـوانـ الصـفـاـ)ـ وـاتـقـنـاـ مـعـ شـرـكـةـ (ـتـلـسـونـ)ـ الـاـنـجـلـيـزـيـةـ عـلـىـ طـبـعـهـاـ وـتـوزـعـهـاـ وـسـتـوـزـعـ لـاـولـ مـرـةـ فـيـ (ـتـيـجـرـيـاـ)ـ الـشـمـالـيـةـ قـرـيبـاـ ،ـ وـهـكـذـاـ اـسـتـطـعـنـاـ اـنـ تـدـخـلـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ قـوـائـمـ الـلـفـاتـ الـحـيـةـ الـتـيـ تـوـزـعـ فـيـ دـوـلـ ماـ وـرـاءـ الـبـحـارـ .

3 — انـ العـقـبـةـ الـتـيـ تـجـعـلـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ غـيرـ صـالـحةـ فـيـ الـوقـتـ الـحـاضـرـ لـلـتـدـرـيـسـ الـجـامـعـيـ هيـ :ـ الـاـسـتـاذـ وـالـكـتـابـ .

فـجـهـلـ بـعـضـ الـاـسـاتـذـةـ بـالـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ وـبـالـتـحـدـثـ بـلـفـةـ نـصـحـيـ سـلـيـمـةـ بـطـلـاقـةـ وـوـضـوحـ ،ـ وـصـعـوبـةـ الـتـرـجـمـةـ بـالـنـسـبـةـ لـبـعـضـهـمـ ،ـ وـسـوـءـ طـبـعـ الـكـتـبـ الـجـامـعـيـةـ وـغـلـاءـ سـعـرـهـاـ بـسـبـبـ جـهـلـ عـمـالـ الـطـبـاعـةـ وـرـدـاءـ الـمـطـابـعـ فـيـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ كـلـ هـذـاـ يـجـعـلـ اـسـاتـذـةـ الـجـامـعـةـ يـتـجـهـونـ نـحـوـ الـكـتـبـ الـاجـنـبـيـةـ وـيـجـبـرـونـ طـلـابـهـمـ عـلـىـ درـاستـهـاـ وـانـ كـانـوـاـ ضـعـفـاءـ فـيـ الـلـفـةـ الـتـيـ يـدـرـسـونـ بـهـاـ .

وـاـذـاـ كـانـتـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ سـالـحةـ لـلـتـدـرـيـسـ وـالـبـحـثـ الـجـامـعـيـ ،ـ مـاـ هـيـ الـمـشـاـكـلـ الـتـيـ تـعـرـضـ اـسـاتـذـةـ وـمـاـ هـيـ الـحـلـوـلـ فـيـ نـظـرـكـ ؟

4 — انـ الـحـلـ الـوـحـيدـ لـلـمـشـاـكـلـ الـتـيـ تـعـرـضـ اـسـاتـذـةـ فـيـ تـدـرـيـسـ الـتـعـلـيمـ الـجـامـعـيـ هوـ تـأـسـيـسـ مـطـبـعـةـ كـبـيـرـةـ عـلـمـيـةـ عـلـىـ حـسـابـ الـجـامـعـةـ الـعـرـبـيـةـ

نال موضوع اذن ، مطروق ومحوث ومدروس ، وفيه آراء عديدة ، لكن شجاعة اللغة العربية على حد قول ابن جني — تجيز لنا التناول وعدم الترمط وتحميل العربية فوق طاقتها لاشتقاق كلمات لا تعبر عن المعنى العلمي الاصيل الدقيق الذي نريده !!

ونحن ، مثلا ، استعملنا كلمة (قانون) ويقول السيوطي : ان (ابن سيده) قال في كتابه (الحكم) : قانون كل شيء طريقه ومقاييسه ، وأراها (دخلة) . فإذا تركنا كلمة (قانون) هذه الكلمة الدقيقة الدخلة فائدة كلمة عربية أصيلة نستعملها بدلا عنها ؟؟

لذلك فمن واجبنا في مثل هذه الظروف وهذا المصر أن نعتمد على (شجاعة العربية) التي اعترف بها أجادانا الاولى وفسحوا لنا المجال لزيادة ثورتها ، علينا ان ندخل (التلفون والتلفزيون والترسيزتر والمكروب ..)

كما ادخلنا (الدينار والدرهم والبستان والقميص والتنطرة ، والترجم والكماء والجاموس والمحك والجوهر والدستور ...) وغيرها في لغة العرب ، ولا نكفي أنفسنا ورجال المجامع اللغوية بالبحث الطويل العريض الذي قد يخرجنا عن مقاصدنا وغایاتنا ، وبذلك نحل مشكلنا ونسير مع السائرين !!

والنحو الشهير (ابن جني) المتوفى سنة 392هـ في كتابه (الخصائص) فقد افرد له بابا خاصا اسماه : (باب : في ان ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) يقول فيه : (هذا موضع شريف ، واكثر الناس يضعف عن احتماله لغموضه ولطنه ، والمنتفعة به عامة والتساند اليه مقو ومجده ، وقد نص أبو عثمان عليه فقال : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب !

وقال أبو علي : اذا قلت : طاب الخشكان ، لهذا من كلام العرب لأنك باعرابك اياه قد ادخلته في كلام العرب .

ويؤكد هذا عندك ان ما اعرب عن اجناس الاعجمية قد اجرته العرب مجرى اصول كلامها ، الاتراح يصرخون من العلم نحو : (اجر وابرسيم وفرند وفirozج ، وجميع ما تدخله لام التعريف ؟؟)

ولم يكتتب ابن جني بذلك بل ذكر في الجزء الثاني من كتابه (الخصائص) بابا خاصا اسماه : (باب في شجاعة العربية) ، ويقصد فيه ما يجري في الكلمات العربية من (الحنف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف) لتسهيل اللفظ واداء المعنى .

- (1) اخوان الصفا ، جمعية دينية سياسية فلسفية نشأت في البصرة في القرن العاشر الميلادي ولها رسائل مشهورة باسم (رسائل اخوان الصفا) .
- (2) شركة توماس نلسون المحدودة Thomas Nelson and Sons Ltd. Books for Overseas:
- (3) كتاب (المزهر) للسيوطى ج 1 ص 268 .
- (4) المصدر نفسه .
- (5) كتاب (الخصائص) لابن جني ج 1 ص 357
- (6) ابو عثمان : هو ابو عثمان المازني اللغوى النحوى الشهير المتوفى سنة 249هـ .
- (7) ابو علي : هو ابو علي الفارسي النحوى اللغوى، وهو استاذ ابن جني .
- (8) الخشكان : دقيق الحنطة يعجن بالسمن ويسيط ويملا بالسكر واللوز والفستق وماء الورد .
- (9) كتاب «الخصائص» ج 2 ص 360 .
- (10) كتاب (المزهر) للسيوطى ج 1 ص 278 .